العلاقات الأســـــرية وتأثيرها على تنشئة الطفل

د. صالح سعيد دقبينة ـ كلية التربية العجيلات. جامعة الزاوية .

المـقدمـــــة :

تحظـــى الأســـــرة بمكانةٍ عظيمةٍ بين المؤسسات الاجتماعيـــة ، وقـد زاد من تدعيم مكانتها تأكيد الدّيانات عليها ، والآثار التي تخلفها في الزّوجـين والأولاد أن حياة الزوجين الجديدة تتطلب التكيف والتوافق وكل منهما يحمل إلى البيت الجديد نوعًا من الاعتبار لذاته ونوعًا من الاعتبار للآخرين ، وقد يحمل أحدهما بعض الاتجاهات والميول والعواطف التي لا تكون مقبولة ، ولكن الــزّواج يجعلهما يعيشان حياة مشتركة لا تسمح لأحدهما أن يعيش منطويًا أو بعيداً عن الآخـــر وتتعرض الأسرة لأسوأ ما يهـــزّ أركانها حين يدب الخلاف بين شريكي الحياة ، ويصل بهما إلى طريق مسدود لفشل أحدهما في التكيف نتيجة لعدم المسايرة والتنازل مما يتسبّب في حياة منتجة ، يقف الأبناء بينهما في حيرة فيرتكب الزوجان جرمًا في حق الأبناء ، وعندما لا يدرك كل منهما أن هذا يغرس في نفوس الأبناء الإحساس بالضياع والخوف وعدم الاطمئنان ، فيتحول إلى ضـــرر يلحق بالفرد والمجتمع وهـــذا الأمر دعانا إلى دراسة الخلافات الأسرية والكشف عن الآثار المرتبة عليها خاصة على سلوك الأبناء ، فأساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية الخاطئة تعد أول العوامل التي تؤثـــر على الأطفال لتكوين سلوكهم ، الذي يدفعهم إلى الانحراف ولهذا تأثير سلبي على عدة جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية الحاضرة والمستقبلية .

فدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية المتبعة من قبل الوالدين وعلاقتها بانحراف الأطفال وتأثيرهما التربوي على الطفل .

مُشـــكلة البحث :

الحياة الأســـــرية حافلة بالوقائع الإيجابية والسلبية ، وهي نتائـــج ظهور الزيجات بين الآباء والأمهات ، وبما أن تلك الزيجات هي نتائج الموروث الاجتماعي عادات وتقاليد قبيلة ، فإنه ليس جميع الزيجات على مستوى واحد ، ويرى أحمد عزت راجع (1986) أن دوافع السلوك ذات أهمية كبيرة في فهم الإنسان لنفسه ولغيره وتتوقف حياة الإنسان على إشباع حاجاته الأساسية ، فهو يشعر بالجوع والتعب ، ويحتاج إلى تناول الغذاء ويشعر بالعطش ويحتاج لشرب الماء ويحتاج إلى الراحة.(1)

ويشير محمد عثمان شحاتة (1984) إلى أنه إذا عجز الإنسان على إشباع دوافعه الإنسانيـــة لا يستطيع الحياة والاستمرار ، فلا شك أن معرفتنا بأنفسنا تزداد أكثر إذا عرفنا الدوافع المختلفة التي تُحركنا وتدفعنا إلى القيام بما نقــوم به من أعمال مختلفة وتصرفات متعدّدة في الظـــروف والمواقف المختلفة ، فإذا كانت هناك علاقات تفاهم جيدة بين الزوج وزوجه ، فإن خلافات الوالدين لن تظهر على السطح ، أو على الأقل لا تصل إلى حد الإحساس بها من قبل الأولاد ، وبالعكس من ذلك فإذا كانت هناك علاقات غير متكافئة أو يشوبها عدم التفاهم بين الوالدين فإن الأبناء يواجهون نوعا من التنافر من خلال الإحساس بتلك الخلافات الأسرية (2)

تساؤلات البحث :

1- ما أثر الخلافات الأسرية على سلوكيات الأبناء وتحصيلهم العلمي ؟

2- هل تؤثر الخلافات الأسرية على السلوك التربوي لدى الطفل ؟

3- ما أهم أسباب الخلافات الأسرية وتأثيرها على الجوانب السلوكية المعرفية للأبناء؟

أهـــداف البحث :

إن لكل دراسة هدف أو غرض يجعلها ذات قيمة علمية ويفهم الهدف من الدراسة على أنه السبب الذي من أجله أجريت هذه الدراسة والأهداف هي :

1- التعرف على مظاهر التفرقة بين الأبناء داخل الأسرة .

2- التعرف على دور الأســـرة في تشجيع الأبناء على العدوانية من عدمه .

3- معرفة العلاقة الأسرية بين أساليب التنشئة الاجتماعية وأخطر أشكال الانحراف عند الأطفال.

4- التعرف على الاحتياجات الأساسية للأبناء داخل الأسرة وخارجها ومدى توافرها للطفل .

أهمية البحث .

الـــزواج سنة من سنن الله في الخلق والتكوين ، وهي عامة مطردة لا يشذ عنها عالم الإنسان أو عالم الحيوان أو عالم النبات ، ولم يشأ أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم ، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي ، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له ، بل وضع النظام الملائم لسيادته والذي من شأنه أن يحفظ شرفه وصون كرامته . فيجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريما مبنيا على رضاهما ، وبهذا وضع الغريزة سبيلها المأمونة وحمى النسل من الضياع وضمن للمرأة من أن تكون كَلا مباحًا لكل راع ، ولا شك في أن تحديد الخلافات الأسرية من قبل الباحث سوف تسهم مساهمة فعّالة في

التعرف على تأثير الخلافات الأسرية على السلوك التربوي لدى الأطفال حيث تكمن أهمية هذا البحث في إيجاد الحلول الجذرية من أجل المحافظة على أبناء مجتمعنا خاصة والمجتمعات الأخرى عامة .

منهـــــــــــج البحث:

استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالرجوع إلى الأذن المثيرة موضوع البحث.

5.1. مصطلحات البحث:

الخلافـــــات الأسريـــــة : وتعرف بأنها : سوء تكيف وتوافق أو انحلال يصيب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كلا مع الآخر (3)

الأســـــرة : هي وحدة وظيفية تتكون من الزوج والزوجة والأبناء يرتبطون برباط الدم وتجمعهم أهداف مشتركة. (4) ، ويعرفها جون لوك بأنها: عبارة عن مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج والدم أو التبني مكونين حياة معيشة مستقلة ومتفائلة يتقاسمون الحياة وينعمون بعطائها . (5)

السلوك التربـــــوي : هو كل ما يصدر عن الكائن الحي نتيجة احتكاكه أو اتصاله ببيئة خارجية .(2-7)

التعريف الإجرائـــي : الأطفال: هو القطاع الممتد من عمر الإنسان منذ الميلاد حتى سن الاعتماد الكامل على الذات .

مرحلة الطفولـــــة من سن (9-12) : وتسمى مرحلة المغامرة والبطولة ، ويميل الأطفال فيها إلى الجمع والادخار أو التملك والاقتناء ، وتتفق هذه السن مع إدراك الأطفال للأمور الواقعية ويميل الطفل إلى الاشتراك مع زملائه في الجماعات المختلفة ، ويبدو على الطفل حب السيطرة والميل إلى الأعمال التي تظهر فيها روح المنافسة والشجاعة وروح المغامرة والقيام بالرحلات المختلفة (6) .

الدراسات المشابهة و المرتبـــطة :

1- دراســـــــــة : حسن مصطفى (1993) عن التوافق الزوجي وعلاقته بتقدير الذات والقلق والاكتئاب، اشتملت عينة الدراسة على (120) فردا متزوجين ولديهم أطفال، **وتوصلت الدراسات إلى :**

1- في حالة التوافق الزوجي تكون أكثر اكتئابا وفي عدم التوافق الزوجي يكون الأزواج أكثر قلقا .

2- إن كان كل من الأزواج و الزوجات غير متوافقين زواجياً كانوا أكثر قلقا و اكتئابا وإن كان كل من الأزواج والزوجات متوافقين زوجيا يكونون أعلى في تقديرات الذات.

3- تحســـــن مستوى التوافق الزوجي ، وانخفاض القلق و الاكتاب و ارتفاع تقدير الذات بعد استخدام برنامج إرشادي.

ويرى الباحثون أنه في حالة عدم التوافق الزوجي يكون الأطفال أكثر قلقا و بالتالي تؤثر في سلوكهم التربوي .

2- دراســـــــــــة : عائشة يوسف (1996) عن العلاقة بين الأب والأم، واشتملت العينة على (10) أزواج يعانون مشكلات في علاقتهم الزوجية وقد تم اختيار العينة من عدة عيادات نفسية تهتم بالعلاج والارشاد الزوجي ، وقد توصلت الباحثة إلى أن العلاقة الزوجية علاقة تستعيد من خلال العلاقة بالموضوعات المثيرة والتي لم يستطيع الشخص أن يجد لها حلا في المراحل العمرية المبكرة ، وأن هناك علاقة بين الشكوى المقدمة من كلا الزوجين - والتي تمثل الماضي - والصراعات المتعلقة بالموضوعات المبكرة والتي تمثل الماضي بين الوالدين أو بأحدهما .

3ـ دراســـــــــــة : بتيل فنيلوغ (1976) ، عن أبعاد العاطفة والمكانة على التوافق بين الأزواج ، وقد تكونت عينة الدراسات من (10) أزواج متوافقين ، و (10) أزواج غير متوافقين ، وقد تم الاختيار وفقا لمجموعة من المحاكمات وطبق عليهم مجموعة من الاختبارات لقياس التفاعلات السلوكية بين الزوجين ، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها : أن المجموعة المتوافقة لديها عاطفة أكثر (كل من الزوجين للآخر أكثر) من الزيجات غير المتوافقة ، إضافة إلى أن الزيجات المتوافقة تظهر خضوع كل منهما للآخر أكثر من اتباع مبدأ السيطرة لكل منهما على الآخر . (14 – 292) ويرى الباحثون أنه إذا توافق الزوجان أذى ذلك لى تحسين السلوك التربوي للأطفال. كبتيل فنبلوغ - (1976) .

4- دراســـــــــــة : كيتيكل ويل (1995) **:** وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على الأسباب الحقيقية للطلاق على ولاية كاليفورنيا ، حيث وجد أن السبب الرئيس للطلاق هو الاقتصار على الحب ، وفقد الزوج لكل شيء في الحياة الزوجية ، وفي المقابل أشار الأزواج إلى إهمال مطلقاتهم لحاجاتهم ورغباتهم ، أو أن أغلب النساء من اللاتي أخذن زمام المبادرة بالطلاق ، ووجد أن أسباب الطلاق تعود إلى صعوبة التفاهم والتواصل وفقدان الحب ، إلى جانب الاختلافات فيما يتعلق بتنشئة الأبناء ، وإضاعة الوقت مع أشخاص آخرين ، وإن كلا الطرفين المنفصلين يعانيان من الاكتئاب و القلق النفسي ، ويرى الباحثون أنه إذا افتقر الزوجان للحب أدّى إلى تباعد الطرفين مما يؤثــر سلبا على السلوك التربوي لدى أطفالهم .

تعليق عـــام على الدراسات المشابهة و المرتبطة:

إن الدراسات الميدانية السابقة قد ركّزت على العديد من القضايا حيث تناولت العديد من الدراسات أثر التوافق الزوجي وارتباطه بالعديد من المتغيرات مثل القلق ، والاكتئاب ، وتقدير الذات و كذلك أسباب الطلاق ، ومنها دراسات أوضحت الأمور الآتية :

1- يحدث التوافق الزوجي كلما كانت الزوجات أكثر نضجًا و أكثر ثباتا وانفعاليا فكريا.

2- إن الخلافات بين الزوجين من محتمات الزواج يبدأ التضخم والتهويل وتدخل أطراف أخرى.

3- إن التصادم و عدم الالتقاء في طريق وسط يعود إلى العديد من النتائج خاصة الطلاق والتصدع الأسري ، وتناول الزوج المخدرات ، و وجود و اكتشاف علاقات جنسية خارج الاطار الزوجي يهدد كيان الأسرة ويهدد الطرف الآخر بالطلاق .

4 - قد يتفق الآباء و الأمهات على أسلوب موحد لتنشئة أبنائهم ، وقد يختلفون مما ينعكس سلبا و إيجاباً في نفوس و عقول ووجدان و انفعال و تفكير الأبناء .

5- إن استقرار أو عدم استقرار الحياة الزوجية يتوقف على العديد من العوامل الشعورية و اللاشعورية أهمها شعور الطرفين بالرضا و التوافق والإشباع الجنسي والعاطفي المتبادل وأن عدم الوصول إلى هذه الدرجة من الاتفاق قد يقود إلى المشاكل

6 - إن الخلافات الزوجية تعكس نفوس أفرادها في الماضي و إسقاط ذلك على الحاضر (كما أوضحت دراسة عائشة يوسف 1996) .

مقومات الأســـــــــــرة .

تعتمد الأسرة في حياتها على عدد من المقومات الأساسية حتى تتمكن من القيام بوظيفتها كمؤسسة اجتماعية ، ونلاحظ أن نجاح الأسرة وتوافقها الاجتماعي يتوقف على تكامل هذه المقومات ، فالأســـرة مثلا تحتاج إلى دخل اقتصادي ملائم يسمح لها بإشباع حاجاتها الأساسية من سكن وملبس ومأكل ، وتحتاج إلى سلامة أعضائها الجسمية وما يلزمها من خدمات صحية ، كما تحتاج إلى صحة نفسية تساعدها على مواجهة أزمات الحياة والتفاعل الإيجابي مع المواقف المختلفة وهي تحتاج إلى علاقات اجتماعية سليمة تحقق لها القدرة على تخطي العقبات التي تحول بين إقامة التعاون والود محل الصراع والتوتر ، وهـــي فوق كل ذلك تحتاج إلى سياج من القيم الدينية التي تزكي التضحية والإيثار ، وتدعو إلى التمسك بالأخلاق عند التعامل بين أعضاء الأسرة وفي علاقات الأسرة مع الجماعات الأخـــــرى ، (7) .

العوامل الخاصة بالأســـــــــرة .

حجـــم الأســـــرة : هناك الأسرة الكبيرة الممتدة والأسرة الصغيرة النووية يختلف تأثير كل منها في عملية التنشئة الاجتماعية ، ففي الأســـرة الكبيرة الممتدة التي تضم أعضاء آخرين غير الوالدين كالجدود والأعمام والعمات والخالات وأبنائهم.....الخ ، يتسع نطاق التفاعل الاجتماعي الذي يتعرض له الطفل أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، أما في الأسرة النوويـــة (التي تتكون من الوالدين والأخوة فقط) ، فإن نطاق التفاعل الاجتماعي الذي يتعرض له الطفل يكون محـــدودًا، إذن لكل من الأسرتين تأثيرها النسبي على تنشئة الطفل الاجتماعي ، فمن مميزات الأسرة الكبيرة الممتدة أن فرص التفاعل الاجتماعي أكثر ومن ثم مصادر التعلم الاجتماعي أكثر تعددًا ، وربما مصادر الإشباع أكثر ؛ ولكن من سلبياتها أن كثرة عدد أفرادها ربما لا يتيح للطفل فرصا كثيرة العلاقات للوجه ، أي : العلاقات المركّـــزة ومن ثم تضعف في الأسرة في فرص التفاعل المتبادل ، أما في الأسرة النووية فمن مميزاتها تركيز العلاقات فيها وتبلور دور التوجيه حول الأب والأم ، من ثم اتساق توجيهات التنشئة وأهدافها وزيادة ترابط الطفل بوالديه باعتبارهما الأكثر احتكاكا به؛ ولكن من سلبياتها أنها أكثر تأثيرا بالظروف المحيطة بها، فالأسرة التي يعمل فيها الوالدان وتضطرهما هذه الظروف إلى الغياب عن المنزل ، وتعتمد هذه الأسرة في تربية أبنائها وتنشئهم على أشخاص وتنظيمات أخرى كأحد الأقارب أو الشغالة أو المربية أو الحضانة فهذا الأمر يحد من دور الأسرة ، وخاصة الأم في عملية التنشئة الاجتماعية.

الأدوار الاجتماعيـــة داخل الأســـــــــرة :

الدور الاجتماعي هو نمط من السلوك يرتبط بمكانة الفرد ، فللأب دور وللأم دور ، وللمعلم دور ، ومن أهم الأدوار في الأسرة دور الأب والأم ثـــم الأخوة والأبناء ، ولكن أبرزها هو دور الأم . ويبرز أهمية دور الأم باعتبارها أول من يتولى التنشئة ، وتقـــوم بإشباع حاجات الطفل المتنوعة ، كما أنها الأكثر بقاء معه في المنزل ، ولذا نجد التأثيرات السلبية الناتجـــة عن غياب الأم (كعملها أو وفاتها أو طلاقها) تترك فراغًا في تنشئة الطفل لا يمكن أن يشعله أي بديل آخر، ولا يمكن إغفال دور الأب في عملية التنشئة ، وخاصة في المراحل اللاحقة لمرحلة الطفولة المبكرة، فهو المسؤول الأول في تأمين الجو الأسري الذي تشبع فيه حاجات الطفل (قارن بين حالة الأســـرة التي يكون فيها الأب مشغولا معظم الوقت عن أطفاله ، والأسرة التي يقضي فيها الأطفال وقتا مع أبيهم) . مجمل القول ، أن عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تتوقف إلى

حد بعيد على تأدية كل عضو فيها للدور المتوقع منه حتى تتم بشكل متكامل ، ومن ثم فإن اضطراب أيّ دور من هذه الأدوار للشخص الواحد في الأسرة يؤدّي إلى وجـــود صراع بين هذه الأدوار عندما تتعارض واجبات دور معين مع واجبات دور آخر .

العلاقات الأســـــــــرية :

أول هذه العلاقة علاقـــة الأم بالطفل ، فكلما كانت علاقة الأم بطفلها سوية ، انعكس ذلك على النمو النفسي الاجتماعي للطفل ، وبالطبع هناك عوامل عديدة تحكم هذه العلاقة وأبرزها بسط شخصية الأم ذاتها ، ثم علاقتها بزوجها ، ثم علاقتها بأبنائها الآخرين ثم علاقتها بالمجتمع الخارجي ، فالأم هي أول من يوجه له الطفل طاقته الانفعالية وأول شخص يجرب فيه الطفل الدوافع المتناقضة من الحب والكره ، والحنان والعدوان؛ لأنها مصدر العطف والحرمان في آن واحد ، فإذا ما كانت الأم نفسها تعاني من بعض الاضطرابات النفسية وعدم الوعي بدوافع الطفل السلوكية ، فإنها قد تسيء تنشئته ، فالأم المضطربة نفسيا ينعكس اضطرابها على أسلوب تنشئة طفلها . وللعلاقة الزوجية أثرها على تنشئة الطفل ، فالعلاقة الزوجية التي تقوم أساسا على التوافق بين الزوجين تؤدّي التماسك الأسري الذي يؤدّي إلى خلق جو يساعد على نمو الطفل السليم وفي نجاح عملية التنشئة الاجتماعية .

أما علاقة الأبوين بالأبناء فلها أثر كبير كذلك على تنشئة الأطفال ، فما هو شائع في المجتمعات الريفية والبدوية مثلا تفضل الابن الذكر على الأنثى لارتباطه ببعض القيم الاجتماعية والثقافية ، وهذا النمط من العلاقات المبني على التفضيل (تفضيل جنس على آخر ، أو سن على سن) يخلق تنافسا وصراعا بين الأخوة ، مما قد يؤثر على العلاقة بين الأبناء وعلى تكيف كل منهم نفسيا واجتماعيا ، فالعلاقة المتوازية تحمي التناقضات وهذه المظاهر من سوء التكيف وانعدام التوافق

القيـــــــــم الاجتماعية :

القيم في أحكام ومواقف فكرية تتضمن أحكاما تقويمية (قبول أو رفض تأييد ومعارضة) نحو الأشخاص والأشياء والموضوعات التي تعكس أهدافها واهتماماتها وثقافتها ، وكما تعكس المعايير والأنماط السلوكية السائدة في الجماعة وثقافتها ، ومن ثم فهي تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى في المجتمع الواحد ، ومن مكان لآخر. معنى هذا أن التنشئة الاجتماعية تتأثر بالقيم السائدة في الأسرة بغض النظر عن طبيعتها ، واختلاف قيم الأسرة قد يؤدي إلى الاختلاف في بناء شخصيات الأفراد بحيث لا يمكنهم التوافق إلا مع أســـرهم التي اكتسبوا فيها هذه القيم ، ومن ثم المقارنة بين نمط التنشئة

السائدة في أسرة معينة والنمط السائد في أسر أخرى بناء على القيم السائدة في كل منهما والتي تبدو آثارها على الأطفال ، وكذلك على الكبار - أيضا - ، وقد أكّـــد كل من (فـــرويد) و(بارسونز) أهمية الحب في تكوين الشخصية وتفتحها فالحب بين الأم والطفل يتسع ليشمل أفراد الأسرة ومن بعدهم المجتمع و على أساسه يتوحد الطفل مع العناصر الاجتماعية والثقافية .(8)، ويؤكد (بارسونز) أن الحب بين الطفل وأمه هو أساس التماسك بين علاقة الطفل والأم ونظام الأســـرة ، والبناء الاجتماعي بالأسرة ، وهو دعامة أساسية في نظام الشخصية وتلعب طبيعة العلاقة التفاعل بين الأم والطفل دورا مهما في تحديد شخصيته فيما بعد (9) .

المراحل التي يمر بها الطفل :

1- المرحلة الأولـــى : يبدأ فيها الطفل في التعليم على التكيف لمطالب جسمه وحاجاته البيولوجية والتوافق مع الظروف البيئية المحيط بها ، وفي هذه المرحلة يقبل الطفل المعاني التي حددها الكبائر للمواقف التي يمر بها كما يظهر ذلك في معاملتهم له ، فهو إذن يكيف نفسه لسلوك الكبار وتوقعاتهم ، ولكنه لا يكون سلبيا تماما ، إذ أنه يقاوم الخضوع التام لما يميله عليه الكبار كما يبدو هذا مثلا عندما تسعى الأم بمختلف الوسائل لكي ينام طفلها... ولكنه لا يستجيب في أحيان كثيرة ويقاوم ذلك بصراخ. وتتحدد بالتدريج أنماط السلوك الخاصة بالطفل وفقا لما يترتب على سلوكه من نتائج ، فهو يتعلم بالتدريج استبعاد بعض الأنماط السلوكية التي تأتي بنتيجة والتي لا تؤدي إلى إشباع حاجاته ورغباته، وتتخلص هذه المرحلة في تمايز سلوك الطفل بالنسبة للمواقف الاجتماعية ، وقوام هذه العملية هو التناسق الحسي - الحركي ، المرتبط بالمواقف التي، فهو يستجيب لعلاقات أو توجيهات حدد الكبار معانيها ومضامينها من قبل .

ويخطئ من يظن أن الطفل في هذه المرحلة يتأثر بالكبار أو يستجيب لهم استجابة مطلقة ، فكما يتأثر الطفل بالكبار ، فهو يؤثر فيهم - أيضا - ، فهو يتعلّم أن البكاء وسيلة فعّالة لكي تهتم به الأم أو تستجيب لمطالبه ، أو تشبع حاجاته ، وقد يتعرض الطفل للصراع النفسي في هذه المرحلة عندما تكون عاداته قد تميزت أو تبلورت واستقرت ثم يحدث تغير مفاجئ للمعاني والعلاقات التي تعود عليها ، كما يحدث - مثلا - عند الفطام المفاجئ .

2 -المرحلة الثانيـــــــــة : وتتسم هذه المرحلة باكتساب الطفل لاتجاهات الكبار نحو المواقف المهمة في حياته ، فهو لا يستطيع أن يتوقع تصرفات الأم إزاء سلوكه إلا إذا تمثل اتجاهاتها وأصبحت جزءا من شخصيته هو ، فالطفل يتصرف في المواقف الجديدة بالأساليب نفسها التي حددتها الأم له مواقف متشابهة عن طريق استخدامه اللغة

، فاللغة إذن ، هي مفتاح التمثل في هذه المرحلة ، وضمن طريق الرموز يستطيع أن يستجيب للأشياء حتى في حالة عدم وجودها في المجال الإدراكي الحسي المباشر ، واللغة هنا هي أساس عملية التفكير ، حيث إنها سلوك لفظي يرتبط بمواقف واقعية يواجها الطفل في حياته اليومية ويسلك تجاهها سلوكيات معينة ، وفي هذه المرحلة ، وعن طريق اللغة - يكتشف الطفل أشياء كثيرة من محيط الأسرة ويكتسب كثيرا من التأثيرات، فهو يكتسب الاتجاهات والقيم والعادات والتقاليد من خلال مواقف يومية معاشة ، ثم ينسى بعد ذلك هذه المواقف ويتذكر - دوما ، تلك القيم والعادات والاتجاهات فيحدد سلوكه ويتوقف الأثر التربوي في هذه المرحلة على ما قد يتعرض له الطفل من مناخ أسري ملائم ، أو تعرضه لصراعات نفسية قد تنشأ نتيجة أسلوب المعاملة التي يتلقاها من الوالدين أو أحدهما . فالتذبذب في المعاملة أو عدم الاتفاق أو التفرقة بينه وبين إخوته قد تزيد احتمالات الصراعات النفسية لديه ومن ثم صالة التأثير الإيجابي للأسرة في تربية الطفل في هذه المرحلة (10)

2- مراحل الطفولـــــة :

1- مرحلة الطفولة منذ الولادة إلى سنتين : مرحلة ما قبل الميلاد : وتبدأ هذه المرحلة من لحظة اختراق الحيوان المنوي لبويضة المرأة وتكوين ما يسمى بالزايجوت ، وتنتهي هذه المرحلة بمرور تسعة أشهر قمرية (265 يوما) أي عند الميلاد . (11)

2 -مرحلة النمو خلال السنة الأولـــــى : من عمر شهرين من السنة الأولى ، يبدأ بعمر الشهرين تقريبا ظهور الابتسامات الإرادية (الاجتماعية) وازدياد التواصل البصري ، مما يميز حدوث تغير في العلاقات بين الطفل والأم ، ويتميزها التغير بازدياد مستوى شعور الوالدين التبادل مع الطفل وتزداد بحلول الأشهر التالية قدرة الطفل على السيطرة الحركية والاجتماعية ، والاهتمامات المعرفية وذلك بشكل ملفت للنظر ، ويأخذ التنظيم المتبادل شكل علاقات اجتماعية متبادلة معقدة .

تطـــوّر حالة الأبوين النفسية خـــــلال مرحلة الرضاعة :

بالنسبة للوالدين يكون النضج الحسي والحركي عند الرضيع بعمر 3-5 أشهر طرفا متفاعلا مثيرا ، وبنفس الوقت جاذبية وأكثر فتنة لكن أكثر انفصالا - أيضا - ، يفسر بعض الآباء تحوّل الرضع بعمر 4 أشهر علهم كرفض لهم ، ويخشـــون في سريرهم أن الرضيع لم يعد يحبهم ، ولكن تعتبر هذه الفترة عند معظم الآباء فترة سعيدة ويختار الطفل الجذاب بشدة في إعلانات أطعمة الرضع حيث يصور في وضعية الاضطجاع البطني ورأسه وصدره مرفوعان بعمر خمسة أشهر عادة ، يصرح معظم الآباء بفرح

بأنهم قادرين على إجراء (الحوارات) مع أطفالهم الرضع ، آخذين دورهم النطقي والسمعي يشارك الأطباء في ابتهاجهم عندما يشجع (يكافئ) ويغازل الطفل بعمر 4 أشهر ، إذا لم تؤد هذه الزيادة الشعور بالابتهاج والارتياح ، يجب تحري الأسباب مثل : الشدة الاجتماعية ، سوء الوظيفة العائلية ، مرض عقلي الأبويناو مشاكل في العلاقات الطفلية الوالدية .

3- مرحلة النمو من 5 - 12 أشهر : يؤدي بلوغ هذا العمر إلى زيادة الحركية واستكشاف العالم الجامد والتقدم في الفهم الاستعراضي والكفاءة التواصلية ، وظهور توترات جديدة حول مواضيع الارتباط والانفصال ، وفي هذه المرحلة تتطور لدى الرضع سيرتان هما الإرادة والقصد وهما مميزتان يرحب بهما معظم الآباء لكنهما يجدون تحديا في التعامل معهما .

4 - مرحلة الطفولة من (3-5) سنوات : ويكون الطفل فيها ملتصقا بأبويه ولا يعرف محيطه إلا البيئة الضيقة المتمثلة بالبيت وما يحيطه من حديقة أو شارع وما يشاهده فيها من حيوان ونبات ، ولا يتجاوز إحساس الطفل في هذه المرحلة إلى الشعور بالبيئة المحيطة ، ويؤكد الباحثون أن المرحلة الواقعية والخيال المحدود ، بالبينة مرحلة مهمة جدا وبوجود الخلافات بين الأسرة ، سوف تنعكس الصورة لديه وحدوث الدربكة لدى الأطفال ولا يستطيع التفريق بين الواقعية والخيال .

5- مرحلة الطفولة من (5 - 8) سنوات : وهي مرحلة يأخذ فيها الطفل في التطلع إلى معرفة ما وراء المظاهر الواقعية ، فيتخيل أن وراءها شيئ ومن أجل ذلك ، يجنح بخياله إلى سماع قصص الغيلان والأقزام وقصص السندباد وما شابهها من الأدب الخيالي ، ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخيال الحر ويشير الباحثون إلى أنه بوجود الخلافات بين الوالدين لا يتسنى للطفل معرفة معني الخيال الحر.

6- مرحلة الطفولة من (8 - 12) سنة : وهي مرحلة يأخذ فيها في الانطلاق وتظهر لديهم غريزة حب المقاتلة والسيطرة والغلبة ، ولذلك فإن الأدب الملائم هذه القصص ماله معنى سليم ، وما خلا من الطيش والتهور ويرى الباحثون أن هذه المراحل العمرية سالفة الذكر إذا لم تراع فيها الجوانب النفسية والاجتماعية والصحية من قبل الوالدين فسوف تؤثر في حياتهم قلهم تأثيرا سلبيا وخاصة بوجود خلافات قائمة بين الأب والأم (13)

أسباب الخلافات الأسرية :

1- عدم التوافق الجنسي بين الزوجين مما يؤدي لازدياد درجة الخلافات ووصولها إلى نقطة يصعب معها التوافق ولا مناص من حل رابط الزواج .

2. الحب الذي يسبق الزواج والذي يشترط الوقع فيه عدد كبير من الشباب كشرط جوهري للزواج ومن المعروف أن كثيرًا من المعجبين لا يخططــون لمستقبل علاقاتهم تخطيطا واقعيا وعندما يصدمون بضرورات الحياة ومشقاتها يصعب عليهم التكيف ويدركون أنهم خططوا لمستقبلهم على أساس غير سليم .

3- اختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قد يكون عاملا في المدى القصير أو الطويل في حل رابطة الزوجية لأن الأسرة وهي جماعة تقوم على التعاون المتبادل لا تستمر طويلا مع وجود فوارق يحسها الزوجان باستمرار.

4. وهناك أسباب أقل أهمية تعجل بقرار الطلاق وقد يرجع عدم الصلاحية إلى أسباب جسمية أو عدم النضج الاجتماعي والنفسي كفساد أخلاق أحد الزوجين أو فقد لمقومات جنسية سواء اختيار الشريك وعدم التوفر التكافؤ في المستويات والميول والاتجاهات وخاصة وجود فارق سن كبير بين الزوجين مما يؤدي لتباعد الميول مما يسبب الفشل. العقم أو الإصابة بالأمراض السرية التي تسبب الإجهاض المستمر وعدم الانسجام الجسمي.

- عدم كفاية الدخل أو عدم اتباع الكياسة في الإنفاق أو تكون الزوجة مسرفة أكثر من اللازم.

- تدخل الأهل في شؤون الزوجين.

- القسوة وسوء المعاملة خاصة بالنسبة للزوج اتجاه زوجه وفي الغالب تكون القسوة وسوء المعاملة مظهرا لدوافع سلوكية أخرى لا يعلنها الزوجان لما فيها من حرج خاصة إذا ارتبطت بجوانب جنسية.

الغياب الطويل لأحد الزوجين أو الحكم بسجنه لمدة سنوية (14) .

5 - الجوع الجنســـي :- إن الدافع الجنسي أو الغريزة الجنسية تعد من الدوافع القوية والموقرة في الحياة إيجابيا وسلبيا وأن الحاجة الجنسية من العوامل المساعدة على التوازن والتكيف والاستقرار في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة.

ا- عدم توافر المحبة بين الزوجين.

ب- عدم توافر الصحة الجسمية والنفسية.

ج – عدم الاهتمام بالمظهر .

6- الزواج المصلحي : في الغالب ما تتركز اتجاهات الإناث إلى المستوى الاقتصادي من توفير للملابس الفاخرة من الذهب والألماس ، والقصور والأثاث ، وذلك لإشباع

دوافعهن في مثل هذه الأمور ، وقد تجهل أو تتجاهل ما قد تصل إليه الحياة الزوجية من تفكك وانهيار. (15)

مظاهر التفكك الأســـــري :

نلاحظ وجود ثلاث مجموعات لمثل هذه المواقف ذات أهمية أساسية في حيـــاة الطفل هي :

1- العلاقات الأسرية الجديدة التي يكونها الآباء ، وتبدو عادة ثلاثة أنماط لمثل هذه العلاقات . فقد يعيش الأبوان منفصلين ويتخذ كل منهما لنفسه حياة مستقلة عن الآخر ولا يقبلان على الزواج مرة أخرى.

- قد يتزوج أحد الأبوين مرة أخرى ، ولا يتزوج الطرف الآخر.

- وكذلك يقبل كل من الأبوين على زواج جديد مع احتمال وجود أطفال في الماضي أو في المستقبل (16).

2- الترتيبات الخاصة بحياة الأطفال في الأسرة المتقدمة فقد يعيش الطفل أو الأطفال مع الأبوين بعد الاتفاق مع الأطراف المعينة و الاتفاقيات قد لا تتوفر فيها حسن النية .

3- اتجاهات أو سلوك الأبوين المنفصلين أو المطلقين نحو أطفالهما ، فهناك آباء يتنافسون في الحصول على حب الطفل و ربما على حضانته ، وقد تأخذ هذه المنافسة أشكالا تؤدي إلى إفساد الطفل ، منها اللعب على عواطفه ، و التسامح الزائد و مظاهر الإسراف البالغ وما إلى ذلك .

التنشئة الاجتماعيـــــــــة :

الاهتمام بالنظم الاجتماعية التي من شأنها أن تحوّل الأطفال إلى أن يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم ، فالتنشئة الاجتماعية ماهي إلا تدريب الأفراد على أدوارهـــم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع ، وتلقنهم للقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد وتُسهم أطراف عديدة في عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والرفاق وغيرها ، إلا أن أهمها الأســـرة بلا شك لكونها المجتمع الإنساني الأول الذي يولد فيه الطفل والذي فيه تتشكل شخصيته للحياة الاجتماعية المقبلة ، وتحقق له النضج النفسي حيث لا يكفي لكي تكون الأسرة سليمة متمتعة بالصحة النفسية أن تكون العلاقات السائدة بين هذه العناصر ولا تعثر الطفل في نموه النفسي للطفل تفهم الوالدين وإدراكهما الحقيقي في معاملة الطفل وإدراك الوالدين ووعيهما بحاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وتطور فكرته عن نفسه وعن

علاقته بغيره من الناس وإدراك الوالدين لرغبات الطفل و دوافعه التي تكون وراء سلوكه وقد يعجز عن التعبير عنها .

أخطـــــــــاء عملية التنشئة الاجتماعية للطفل :

1. التسلـــــــــط : هو فرض الوالدين أو من يحيط بالطفل من إخوته أو أقاربه رأيهم علية ويتمثل ذلك في عدم تلبية حاجات ورغبات الطفل .

2- القســـــــــــوة : أسلوب يتبعه بعض الآباء في فرض الآداب والقواعد التي تتناسب مع مراحل عمر الطفل ، وذلك باستخدام الضرب البدني أو التهديد به مما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس وعدم الاعتماد الذاتي .

3. التدليـــــــــل : عناية الأســـرة المفرطة عن الحد المعقول في تربية الطفل والتجاوز عن عقابه لأي سلوك خاطيء يقوم به وعدم توجيهه لتحمل المسؤولية مما يخلق فيه التهاون والكسل

4- الحرمـــــــــان : حرمان الطفل من الحصول علي حاجاته الأساسية المادية والمعنوية مما يسبب له الشعور بالعجز ، ومن أشكال الحرمان فقده الحنان وعطف الأب ، مما يؤدي لظهور الأمراض النفسية ، وسوء التكيف مع المجتمع .

5- الحماية الزائدة : هي بقاء الطفل في أحضان والدية وتدليله وتلبية كل رغباته وأمانيه وخوفهم الزائد من تكوين صداقات خارجية سيجعل من الطفل شخصية منطوية غير اجتماعية ضعيفًا غير قادر على التأثير واكتساب المناعة الطبيعية ضد الأمراض .

دور المـــــــرأة التربـــــوي : من الأمور التي اجتمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيساً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات ولمدى أهميتها فقد لفتت انتباه العلماء المسلمين و التأثيرات التي تشعها التربية الإسلامية في المجتمع في إبراز دور المرأة التربوي والعوامل التي تساعد على إظهار هذا الدور بوصفه وظيفة من أهم الوظائف .

الاستنتاجات والتوصيات :

الاستنتاجات:

1- إن الخلافات الأسرية تؤثر تأثيرا مباشرا في السلوك التربوي لدى الطفل .

2- إن المشاكل التي يحدثها الأب للأم تنعكس عي السلوك التربوي لدي الطفل

3- للاضطرابات النفسية للأم تأثير مباشر وخاصة في فترة الحمل وبالتالي تنعكس علي سلوكيات الطفل.

4- مشاكل تحدثها الزوجة للزوج نتيجة للظروف المادية ، وتنعكس بصورة سلبية على حياة الطفل.

5- بعض المشاكل تحدث نتيجة الغيرة الزوجية ، وتنعكس سلبيا على الطفل .

التوصيات :

1-الاهتمام بالمشكلات والمؤسسات الاجتماعية لمساعدة الأطفال باجتياز مشكلات الطلاق الحاصلة بين آبائهم .

2- إنشاء مراكز بحث اجتماعية لدراسة حالات الطلاق وأسبابه ومحاولة معالجتهم .

3- الاهتمام بدور الأخصائي النفسي بالمدارس وإعطائه حيزا لحل مشكلات الطلاب بالاتصال بأولياء أمورهم .

4- الاهتمام من قبل المعلمين بالجوانب السلوكية للتلاميذ ومحاولة تعديلها ومعالجتها بعد تحديد أسبابها .

الهوامـــــــــش :

1 –احمد عزت راجع،(1986م) اصول علم النفس، الطبعة العاشرة/ المكتب المصري الحديث الاسكندرية .
2 – محمد عثمان شحاته ،(1984م) علم النفس في حياتنا اليومية/ الطبعة الرابعة/ دار النهضة العربية القاهرة.
3- سيد سلامة الخمسي،(1995م) التربية والمدرسة والمعلم/ الطبعة الاولى/ القاهرة.
4 – احمد عزت راجع، مرجع سابق ص 42 .
5 – محمود حسين احمد ،(2005م)الأسرة ومشكلاتها /دار النهضة العربية/بيروت.
6 – جمعة محمد بدرن ، (1976م)المدة العائلية / المطبعة المصرية العدد العاشر القاهرة.
7 –احمد زكي صالح ، مرجع سابق / ص 52 .
8 – سيد سلامة الخمسي، مرجع سابق / ص 178
9 – عبد الرحمن العيسوي، (2003م)/سيكولوجية الطفولة والمراهقة/ دار النشر الاردن
10 – محمد حسن الشناوي(2001م) التنشئة الاجتماعية للطفل الطبعة الاولى/ دار الصفا للنشر / بيروت.
11 - اسماعيل عبدالفتاح، (2000م) ادب الاطفال/ الطبعة الاولى/ الدار العربية للكتاب / القاهرة.
12 – عبدالكريم قاسم ابو الخير، (2002م) التمريض النفسي / دار وائل للنشر
13 – محمد حسن غانم،(2005م) دراسات نفسية لقضايا معاصرة / دار غريب للنشر.
14 – حامد عبدالسلام زهران (2003م) دراسات في الصحة النفسية والارشاد النفسي- الطبعة الاولي دار المعارف مصر.
15 – حسن مصطفى (1993م) التوافق الزوجي وعلاقته بتقدير الذات
16 – عائشة يوسف (1996م) العلاقة بين الاب والام واثرها على الطفل
18 – بيتيل فينلوغ (1976م) ابعاد العاطفة والمكانة على التوافق بين الازواج .ص292
19 – كتيكل ويل (1995م) التعرف على الاسباب الحقيقية للطلاق/ ولاية كاليفورنيا/ ص14 .